ورقة معطيات

تحليل الحركة الأمريكية في شرق سوريا

10/8/2023

W.A.R.C
West Asia Research Center

في معرض محاولة فهم الحركة الأمريكية المتنامية في شرق سوريا عبر مقاربة نوايا واشنطن وقرارها، تحلّل هذه الورقة معطيات ثلاثة مصادر: البيانات الرسمية من قبل الأمريكي والوكلاء على مدى السبعة أشهر الماضية، وتحديدًا من أول كانون الثاني 2023؛ مراكز الفكر الغربية؛ والميدان.

1. مشروع أمريكي - تركي

كشف شهر كانون الثاني الماضي عن مشروع قدّمته واشنطن لأنقرة، فيه طروحات جديدة تتضمن: سحب عناصر حزب العمال الكردستاني من مناطق شرق الفرات الخاضعة لسيطرة قسد ومناطق الرقة ودير الزور؛ ملء الفراغ من قبل تشكيلات عربية تدعمها واشنطن؛ إدارة تركية - كردية محلية توافقية في بقية المناطق، ويبقى الخلاف حول مصير كوباني: بيد مَن؟ ولا معلومات لدينا حول مصير هذا الخلاف. بمعنى آخر، قدمت واشنطن مخططًا تتقاسم فيه النفوذ مع أنقرة، وتقوّض صلاحيات قسد لكن دون أن تفتح للسطوة التركية مجالًا مباشرًا، بل عبر الوكيل. في هذا الشهر كانت المحاولات حثيثة لاستمالة تركيا وكبح مسار التقارب التركي السوري في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تثبّت حصتها في سرقة النفط السوري وتنظيم عملية السرقة التشغيلية في إنتاج النفط قانونيًا. الأمر الذي يشير إلى مدى الأولوية الأمريكية والغربية في التمسّك بالسيطرة على المنابع النفطية والعمل على استمرارية ذلك.

2. تشعب اتجاه الانتشار

خلال الأشهر التالية، لم يظهر طرح المشروع الأمريكي التركي مجددًا إلى العلن، لكن زادت واشنطن نشاطها في مناطق الرقة والتنف ومختلف المناطق الشرقية بغية خلق توازن ميداني جديد مع روسيا بلحاظ تطوّر مجريات الحرب الدائرة في أوكرانيا. واستثمرت في شهري شباط وآذار موضوع تهريب الكبتاغون لبسط السيطرة على الحدود الأردنية السورية. بالتوازي، وفي نفس الوقت تقريبا، كشفت عمليات التهريب مجددًا لعدد من سجناء "داعش" إلى تلك الحدود -في البادية ومنطقة الـ 55 كلم المتاخمة لقاعدة التنف- المخطط الأمريكي للتصعيد الميداني ضد القوات السورية والرديفة. وهنا، تجدر الإشارة إلى تزامن اشتداد وتيرة الهجمات الجوية الإسرائيلية على سوريا، خاصة شهر شباط. بالمقابل، انعطفت الحركة الروسية في شهر آذار باتجاه اختراق بروتوكول خفض التصعيد مع واشنطن فوق قاعدة التنف.

3. استدارة أمريكية

هذا التوتر الحاصل في شهر آذار وصل الذروة في الرابع والعشرين منه، عندما تدخّلت المقاتلات الأمريكية واستهدفت مواقع عسكرية تابعة لإيران في سوريا؛ سرعان ما منعت ردة الفعل أي تغيير في معادلة الردع القائمة. فقد بادرت آنذاك جماعات الحرس الثوري إلى قصف القواعد الأمريكية بثماني مسيرات مفخخة. هذه الحادثة كبحت الأمريكي ودفعت به إلى اتخاذ وضعية "استراحة محارب"، فانكفأ عن أي نشاط "تسخين" طوال شهري نيسان وأيار، لكن بالمقابل تحرّك الوكيل القطري باتجاه توحيد جهود قسد وجماعة الجولاني، بينما صعّدت جماعات المعارضة في درعا والجنوب السوري وإدلب نشاطاتها التخريبية والإرهابية ضد قوات النظام والحلفاء.

4. الحفاظ على الردع والبقاء دون حد التصعيد المباشر

في شهر أيار، مع الابتزاز السياسي أثناء الاستحقاق التركي الرئاسي، كشف وزير الخارجية التركي، مولود أوغلو، عن المسعى الأمريكي لتأسيس حزام في الشمال السوري يؤمن عملية نقل النفط من شمال شرق البلاد إلى البحر، فالأسواق العالمية. وبعد شهرين من آخر تدخل أمريكي في آذار، تجددت عمليات انتهاك اتفاق خفض التصعيد بين الروسي والأمريكي، اتهم خلالها الأخير الطرف الأول بالمسؤولية. آنذاك، وتحديدًا في 11 حزيران، تحطمت مروحية أمريكية أصيب خلالها 22 جنديًا لكن نفت القيادة المركزية مسؤولية أي نيران معادية عن ذلك. أرسلت القيادة رسالة على لسان القوات الجوية الأمريكية بعد أربعة أيام من الحادثة بأن لا صراع مباشر في حساب كل من واشنطن وموسكو، لكن وبذات الوقت، تضمّنت الرسالة تهديدًا بأن قوة الردع الأمريكية جاهزة وبأنها قادرة على تغيير المعادلة، في ما لو لجأ الروسي للقوة العسكرية. في المقابل، صرّح بوتين في 30 تموز الماضي: "إن روسيا مستعدة لأي سيناريو ولكنها لا تريد صداماً عسكريًا مباشراً مع الولايات المتحدة". وفي تحليل خطاب الطرفين، الواضح أن الرسائل قوية مع تأكيد كلا الطرفين على عدم الرغبة في الدخول في مغامرة. وفي حين، كشفت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية هوية الجنود، أعضاء في وحدة كوماندوز "قوة دلتا" الشديدة السرية في الجيش الأمريكي، لم تنشر معلومات حول مهمة تلك المجموعة وأسباب وجودها في المنطقة وملابسات سقوط مروحيتها.

التغير الثاني اللافت في هذا الشهر هو التصعيد التركي ضد جماعات قسد في شمال وشرق سوريا. لكن ردة الفعل الأمريكية على استهداف وكيلها بضراوة جاءت مسالمة لدرجة لا يمكن التجاوز عنها ببساطة. فقد صرّح المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي، جون كيربي، في 2023/6/21، بقوله إن تركيا "ضحية الهجمات الإرهابية في تلك الحدود. نحن نتفهّم ذلك. ونتفهم أن على تركيا أن تتفهم ما نقوم به في سوريا، ولماذا نقوم به ومع مَن". وفي هذا اليوم بالذات، أعلنت "المنظمة السورية للطوارئ" ومقرها واشنطن، إطلاق عملية مساعدة باسم "الواحة السورية" لدعم وتمويل مخيم الركبان باستخدام طائرات الشحن العسكرية الأمريكية. الأمر الذي يشير إلى: 1) الاهتمام الأمريكي المركز على تلك المنطقة ولو على حساب مصير وكيلها؛ 2) أهمية الحفاظ على المسافة الآمنة مع أنقرة؛ 3) أهمية الجماعات الموجودة داخل المخيم في الحسابات الأمريكية ومخططاتها في تلك المنطقة. في اتجاه مواز وبوقت متزامن مع التصعيد التركي على مناطق سيطرة قسد، وأثناء التركيز الأمريكي على شراء الأدوات وتحضيرها، كان الجولاني في أعقاب التدخل القطري، يصعّد في إدلب ضد فصائل المعارضة الأخرى المنتشرة في الشمال دون موقف تركي حاسم تجاه ممارسات جماعاته.

5. تحضير ما قبل العاصفة

المتغير البارز الثالث في الحركة الأمريكية خلال شهر حزيران بدأ في الأسبوع الأخير من الشهر. فقد عاود قائد القوات الجوية التصريح في 2023/6/22 ، لكن هذه المرة جاء البيان هجوميًا استباقيًا أكثر منه دفاعيًا، قائلًا عن مخاوفه من مواصلة الروس السلوك "العدواني": قد يتطور ويشكّل خطراً علينا جميعا. الطائرات الروسية في مهام قتالية وليس تدريبية، وهذا النوع من السلوك يرفع من درجة المخاطر، وقد يحدث حادث ما".

تطورت سلسلة الأحداث في الشهر التالي مباشرة، أي في الشهر السابع، شهر تموز. فقد عاد المشروع الأمريكي التركي المطروح في شهر كانون الثاني إلى الواجهة؛ صعد إلى العلن الحديث عن المساعي الأمريكية في تعزيز التنسيق بين وكيلها العربي في التنف، "جيش سوريا الحرة"، ووكيلها من قوات سوريا الديمقراطية، وتحديدًا قوات الصناديد العشائرية العربية داخل قسد، وكذلك مع مختلف فصائل المعارضة. في منتصف شهر تموز، وفي خضم التسخين

الجاري في الشرق السوري، جددت قوات الصناديد القول إنكارها لأي مخطط يستهدف الجيش السوري وحلفائه في دير الزور . ترتبط العشائر مع الدولة بعلاقة حقوقية وهوياتية وروابط اجتماعية. حول هذا الموضوع بالذات، تضاربت آراء المعنيين الصادرة في نفس التوقيت؛ الجانب الكردي رأى أن الحديث عن اتفاق مع قوات الصناديد لم يؤكده الجانبان وصعب التنفيذ جغرافيًا، أما قائد الفصيل الوكيل في التنف، محمد القاسم، فقد رأى عدم وجود مانع في التنسيق العسكري، وأقرّ بإحراز تقدم على هذا المستوى، فضلًا عن المحاولة الجادة إلى إنشاء غرفة عمليات مشتركة تضم كل فصائل المعارضة.

6. مؤشرات وإشكاليات

هنا، لا بد من الإشارة إلى أن العائق الذي طرحه المتحدث باسم قسد بخصوص الاتفاق مع الصناديد هو الوضع الميداني بحيث تضم المنطقة الفاصلة بين الجانبين بين 120- 150 كلم من البادية حيث ينتشر آلاف العناصر التابعة لمحور المقاومة، كذلك عدم وجود قدرة عسكرية لدى الجانبين على التوغّل في هذه المناطق الشاسعة. وبناء عليه، يشكّل العامل الجغرافي والعامل العسكري وفق تصريح جماعة قسد العائقين الأساسيين. من ناحية أخرى، قسد تتجنّب القطع مع الدولة السورية والطرف الروسي الذي تلجأ إليه بين الفينة والأخرى لتحصيل بعض المكاسب على الأرض. وتاليًا، تصبح الخيارات البديلة المحتملة في الطروحات الأمريكية موضع اهتمام وتأمل، إضافة إلى محاولة الإجابة عن سيل من الأسئلة، أبرزها: كيف يمكن أن يعمل الأمريكي على تجاوز العوائق على صحتها ودقة مدى تأثيرها؟ ما هو دور داعش؟ ماذا يمكن أن يقدم التركي؟ هل يوجد طريق أخرى جغرافياً تدمج المنطقتين دون الاقتراب من نقاط الوجود السوري الإيراني؟ إلى أي حد يتدخل الأمريكي في المعركة؟ هل يقدم الأمريكي على معركة يدرك أن المحور لن يسمح بأن يكون الحسم النهائي فيها لغير صالحه، مع ما يعنيه ذلك من رفع المخاطر على القوات الأمريكية ودخولها في مواجهة لن تكون موضع ترحيب في الداخل الأمريكي؟ إلى أي درجة سيقدم الوكيل الأمريكي أوراق اعتماد في حرب بالأغلب لن تتدخل فيها القوات الأمريكية إلا جوّا؟ علام سيعتمد الأمريكي في تأمين قواعده في حال تدخّل؟ هل يمكن أن يتم المشروع دون بصمة أمريكية، كيف؟ هل يستطيع الأمريكي أن يطبق قواعد المنطقة الرمادية هناك، لكن السؤال التابع هل يحقق ذلك النتيجة المرجوة والأهداف المطلوبة أم أنه يكون دخل مغامرة غير محسوبة؟ والأهم هل ينجح الأمريكي في تسوية بين قسد وتركيا، وماذا سيكون الثمن الذي سيقدمه الأمريكي للتركي؟ وللمفارقة، منذ نهاية الأسبوع الماضي، تستهدف القوات التركية مواقع حزب العمال الكردستاني، شمالي العراق.

تركيا تشترط على الأمريكي بما يخصّ قسد تغيير الاتجاهات وإقالة قيادات قريبة من الكردستاني؛ نشر قوات تركية – سورية مشتركة لحماية الحدود مع سوريا؛ دمج قبائل عربية بكثافة مع قسد على الحدود (جبهة النصرة والجيش الوطني)؛ ونزع السلاح الثقيل. هل يقوّض الأمريكي من نفوذ قسد في بعض المناطق بغية استعادة الاصطفاف التركي بما يخدم المصالح الأمريكية، وهو خيار يخدم مصالح جيواستراتيجية بالنسبة للأمريكي أكثر من الحفاظ على التحالف مع قسد؟ مؤخرًا، يبرز الأمريكي مؤشرات إيجابية تجاه التركي، وخاصة في موضوع العائق الأبرز، أف 16، في محاولة لتذليل الجمود في التحالف مع أنقرة. ويسعى إلى تحسين نفوذه في المنطقة استناداً إلى شراكة قائمة بين تركيا وحكومة إقليم كردستان. بالمقابل، يلاحظ التنسيق من قبل الأمريكي وقوات التحالف مع عشائر دير الزور دون الرجوع إلى قسد، بالتوازي مع خفض الاجتماعات الدورية مع الأخير. وقد شهدت المنطقة مؤخرًا اشتباكات بين الطرفين، قسد ومجلس دير الزور العسكري، فهل يتفق الأمريكي مع التركي على فرز مناطق النفوذ، بحيث يؤمن كل منهما الحزام الذي يطمح إليه؟ ما يعني أن الأمريكي يعمل على إعادة هيكلة قسد بما يريح التركي، بينما يؤمن التركي للأمريكي الفصائل العربية اللازمة من الشمال. وكيف سيأمن عنف ردة فعل قسد؟ قد يكون باحتوائها والعمل إعادة تشكيل

الفيالق بما يتوافق مع مشروعه وفصل العربي عن الكردي ونشرها في مناطق مناسبة، وهو ما ستتطرق إليه النقطة 7 أدناه. وهنا، تجدر الإشارة إلى ما ورد على مركز المرصد السوري من أن فصائل "الجيش الوطني" الموالي لتركيا بدأت برفع أسماء مقاتلين تمهيدًا لنقلهم إلى قاعدة التنف للقتال ضد الجماعات الإيرانية وقطع الطريق طهران – بيروت والسيطرة على الحدود السورية العراقية. فهل يؤمن هذا الإجراء عائق الموارد البشرية وحاجة الأمريكي إلى تحشيد ما يقارب 8 آلاف مقاتل؟

وفي هذا الوقت، تعزز واشنطن مؤشرات الجهوزية للقيام بعمل عسكري في شرقي سوريا سواء كان دفاعيًا أو هجوميًا من قبيل نشر تعزيزات عسكرية وإرسال الفرقة العاشرة الجبلية إلى المنطقة. هل هذه التعزيزات مؤشر على تصعيد هجومي؟ الأنباء التي تناولت خبر الفرقة العاشرة تضاربت ما بين حضور 2500 جندي إضافي أو أن العملية عبارة عن تبديل مع القوات الموجودة، كما تطرق مصدر إخباري إلى أن العدد الإضافي الفعلي يقارب 100- 150 عنصرًا فقط، ومحطتهم التنف. هذا العدد يشير إلى إمكانية إدارة معركة أو تدريب لا انخراط. مصادر مطلعة داخلية تبنّت الرقم الأخير، أي أنّ الرقم الأول مبالغ به ومقصود في إطار عملية "استعراضية" شبيه لما يحصل من تعزيزات أمريكية في مياه الخليج. وهنا السؤال الذي يطرح نفسه، إذا تدخلت الطائرات الأمريكية من قاعدة "العديد" القطرية كما حصل سابقًا، كيف احتسب الأمريكي والقطري تحديدًا ردة الفعل الإيرانية هذه المرة في ظل حساسية المشروع المزعوم؟

وكذلك الأمر بالنسبة للأردن، حيث استحدث الأمريكي قواعد ضخمة فيها منذ تفعيل الاتفاقية العسكرية بين الطرفين في شباط 2021 مع الانسحاب من أفغانستان(تسهيلات لمدة 15 عامًا وتقديم 12 قاعدة جوية وبحرية بشكل كامل، و 4 قواعد مشتركة للتدريب وأغراض أخرى). إن اتجاه التجميع الأمريكي في شمال الأردن هو الصحراء السورية والعراقية المجاورة، وتحديدًا شرقي سوريا (دير الزور والسويداء ودرعا)، ويهدف التموضع الجديد إلى: 1) التشويش والتعطيل للممر البري بين طهران وبيروت؛ 2) حماية القوات الأمريكية في سوريا والعراق؛ 3) تفعيل الرقابة الاستطلاعية والهجومية، إن لزم الأمر، بالطائرات المسيرة المتمركزة في أكبر مطار في قاعدة الشهيد موفق السلطي الجوية، شمالي الأردن. عسكريًا، تقدم القواعد الأمريكية في الأردن حماية يعتدّ بها للقوات الأمريكية في سوريا والعراق عند الحاجة، لكن السؤال الأساس: هل يتخذ هكذا قرار مع ما له من تداعيات متسلسلة، قد لا يتم السيطرة عليها بسهولة.

7. المشروع الأمريكي في المنطقة

بالعودة إلى المشروع الذي تسعى إليه واشنطن مع أنقرة والذي طرح في الشهر الأول من السنة الحالية، يطالعنا مركز "هدسون" في نفس الشهر بإصدار دراسة بمثابة خارطة طريق دقيقة التفاصيل في مواءمة السياسات التركية الأمريكية، وقبلها في إلزامية هذه الخارطة للطرفين. الدراسة بعنوان "الهروب من المتاهة السورية: خارطة طريق" وأهميتها بعد مرور أكثر من ستة أشهر على صدورها أنها تقدم إجابات منطقية نوعًا ما عما يحصل شرقي الفرات، اليوم. فالخارطة تقارب الوضع الحالي في دير الزور من إشكالات بين قسد ومجلس دير الزور العسكري. وقد تشكل منطلقًا للحل السياسي الأمريكي في استبدال نظام الرئيس السوري، وتسليم الحكم للقوى المعارضة وإلا فتقسيم سوريا ما بين نظام الأسد وحكومة الشمال. والخارطة من ست خطوات أولها إخلاء دير الزور من وحدات حماية الشعب (YPG) وآخرها قطع ممر الإمداد لمحور المقاومة. وهي تطرح بعض الإجراءات التي تستدعي اصطفافًا تركيًا مع القوات الأمريكية، وهو ما لا مؤشرات واضحة عليه حتى اللحظة، لكن إن صحّت فالدراسة بمثابة إنذار مبكر للتوجه الأمريكي المفترض أن يصاحبه تنسيق مع تركيا. وعلى فرض أنه أمر محال، فإن القسم الذي يتعلّق بقطع طريق التنف -

البوكمال بدءاً من إخلاء دير الزور من وحدات حماية الشعب يرفع الحساسية ودرجة المخاطر في ظل ما تشهده تلك المنطقة من مؤشرات حول التحضير الأمريكي للقوات العربية الرديفة للأكراد.

وتطرح الدراسة مجموعة من السياسات في سبيل تحقيق خارطة الطريق، هذه بعضها:

- تشجيع الحكم المحلي للعرب على العرب والأكراد على الأكراد، وتشجيع العشائر العربية الخروج من سلطة الوحدات الكردية.
- استثمار النعرات العرقية بين السكان ووحدات حماية الشعب في مقابل تمكين **الفيلق الثامن** العربي والسوري.
- تشكيل **الفيلق العاشر** من المكون الكردي في الحسكة والمنشقين من وحدات الحماية والجماعات المدعومة من تركيا.
- فصل المجتمعات العربية عن وحدات حماية الشعب وتشجيع واشنطن الميليشيات المحلية لمغادرة قسد والتحول إلى وحدات في الجيش الوطني السوري مع المنفيين العرب من الحسكة، وتشكيل **الفيلق التاسع.**
- أثناء عملية إخلاء وحدات حما ية الشعب من الحسكة، العمل الأمريكي التركي على تجنّب المواجهة مع قوات النظام الموجود في المنطقة، بالاستفادة من خبرة الجيش التركي في إحباط الإشتباك في منبج وتل رفعت ورأس العين.

8. المشهد الكلي للحركة الأمريكية في شرق سوريا

من الواضح والمؤكد أن هناك برنامج جديد لسوريا ومخطط جديد لكن لن تدفع ثمنه القوات الأمريكية، أو أقلّه ستحاول قدر الإمكان تجنب ذلك. هذه المؤشرات أعلاه مجتمعة إذا أضفنا إليها التصريحات الأمريكية الأخيرة التي تتمحور حول الحالة الدفاعية تنبئ بوجود حركة أمريكية جديدة، لكن لا تعطي دلالة مرتفعة على وجود عمل عسكري بتدخل أمريكي مباشر، وأقله في المرحلة الراهنة القريبة. نعم، واشنطن لن تسمح للإيراني والروسي بقطع نفوذها في المنطقة، بناء على ما تم تسريبه أمريكيًا من وجود مخطط إيراني روسي لإخراج القوات الأمريكية من تلك المنطقة. هذا بمثابة خط أحمر يدفع واشنطن للتحرك من باب الردّ، وكما عبّر مساعد مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بأن إضعاف روسيا للموقف الأمريكي في أي تفاوض حول أوكرانيا، فإن الرد الأمريكي موجود مثل "التحليق الأمريكي فوق منشآت روسية في سوريا، أو ضرب جماعات إيران في سوريا، أو ضرب أهداف روسية إيرانية مشتركة". بيد أن هناك معطى قد يكون بمثابة الإنذار المبكر للنية الأمريكية المبيّتة بشأن العمل العسكري، وهو ما ورد في تصريح رئيس هيئة الأركان المشتركة، مارك ميلي، في 2023/7/21، عندما ربط ما بين الصلاحيات الدفاعية والنية العدائية لدى الطرف الآخر، أي أن قرار الاشتباك قابل للتفعيل بناء على "النية" السابقة لأي فعل إجرائي يقوم به الروسي والإيراني. الأمر الذي يعيد التوزان لاحتمال التصعيد الأمريكي والاستباقي.

أميركا أبعد ما تكون من الدخول في هكذا مغامرة حاليًا؛ الاهتمام الأمريكي في مناطق المنافذ البحرية؛ في تجنب الدخول في مغامرات مكلفة دون فوائد أعلى؛ أولوية ملاحقة مناطق التمدد الصيني في المنطقة، طريق الحرير؛ الأزمات الأمريكية الداخلية وردة الفعل على فتح جبهة؛ الحرب في أوكرانيا؛ تجنب تقديم فرصة لفتح صراع الساحات المتعددة؛ الوضع الإسرائيلي المأزوم؛ كل هذه العوامل تدفع الأمريكي للبحث عن حلول بديلة ليس لأنه لا يريد بل لأن زمن التحكم والضبط و"سحب البساط" كما يشاء، فعليًا انتهى، ويعلم أن هذا الطريق خط أحمر بالنسبة للمحور الآخر.